كلماتها تسبقها مثل لغز صامت

الصورة التي تفارق معناها لتلهم الجمال قسوته

فاروق يوسف*

(1)

■ كما لو أنهما في سفرة عائلية. جلسا متعبين وهما ينظران الى المصور بمزاج معتدل: أشهر المطاردين في عصرنا، المنشق الروسي تروتسكي والى جانبه بابا السيريالية، اندريه بريتون. في مكان سري. لكن ظهور الرسامين ريفيرا وزوجته فريدا في صور أخرى قد يشكل عنصر وشاية. المكسيك، هي الباب الضيق لذلك المتمرد، الذي لم يطق ستالين اسئلته الكونية. بريتون ذهب اليه بصفته سريالية معيشة عن طريق الثورة. اما ريفيرا، وهو الشيوعي الملتزم بالواقعية الاشتراكية الرثة، فلا تزال الشبهات تحوم حوله. صورة ثالثة يظهر فيها تروتسكي وهو يقرأ في ورقة صغيرة، فيما وقف الى جانبه ريفيرا وبريتون، الاول يبتسم فيما الثاني ينظر بصرامة الى وجه تروتسكي، لم يكن معنيا بالورقة تلك، بل بكلمات كان تروتسكي يقولها. خبأ المصور المجهول صوره. كانت هناك فرقة للموت تعدادها عشرون الف شرطي بلشفي تطارد الفريسة، من مكان الى آخر. لكن حين يعثر المرء على تلك الصور وهي تباع على ارصفة نهر السين بباريس لا بد أن يدرك أن العشرين الف المجهولين اخطأوا الطريق. لقد قتلوا رجلا لا تزال صورته تعني شيئا غامضا، ليس من اليسير اقتناص معانيه. هناك دائما شعراء شباب يتساءلون: من يكون ذلك القديس الذي ينظر اليه بابا الشعر كما لو أنه ايقونة متجددة؟ كان الشاب الارجنتيني المتمرد ارنستو تشي غيفارا ببدلته الخاكية لا ينظر الى رينيه بوري وهو يصوره، كانت عيناه وهما تظهران عدم اكتراث بالامتار القليلة التي تفصلهما عن عدسة الكاميرا تنصتان الى أصوات نشيد قادم من التخوم. دخان سيجاره الكوبي المغرور لا يذكر بدخان سيجارة صاموئيل بيكيت الوحيد في غرفته، وقد خبأ بنفور كل شيء من كيانه داخل بدلته التقليدية، صورة جانبية هذه المرة. الرسام البلجيكي رينيه ماغريت يهمه أن يقلد شخصياته، فهو الاخر يقف مثل لغز صمت، مثلها تمام. هناك صورة غاية في الرقة تجمع بين بابلو بيكاسو وبريجيت باردو. الفتاة الطازجة والعجوز الاخاذ. الجميلة والوحش. ما الذي كان يقوله رجل الغوايات الفنية للدمية التي اختصرت بجسدها الغواية كلها بعد موت الامريكية الشقراء مارلين، التي لا تكف المتاحف عن عرض صورها؟

(2)

الصور مثل الكلمات تتشابه، وهي ايضا مثل الكلمات تختلف. كل أعمال الامريكي أندي وارهول هي صور متاحة. الرجل لم يفعل شيئا سوى الاستنساخ. غير ان صوره تلك المستباحة بعموميتها دخلت التاريخ بصفتها كشوفا. كان رصيد وارهول يسيرا: أخرج الى الشارع والتقط صورة لأول شيء تراه، ثم عد الى الاستديو لتفعل بالصورة التي التقطتها ما تراه مناسبا لخيالك. رسومه تلك مثل الكلمات التي يقولها الشعراء.

لقد صرنا لا نرى في رسوم وارهول الصورة التي رآها حين خرج الى الشارع، بل تلك التي تخيلها. تروتسكي الذي نراه في تلك الصور التي صارت أكثر شعبية من ستالين في زمانه هو ذلك الذي ينصت اليه بريتون بخشوع. اما باردو فان كلمات بيكاسو قد وهبتها معنى مختلفا، يخرج بها بعيدا عن مفهوم الدمية. لا يحتاج المرء الى قراءة (في انتظار غودو) ليعرف أن من في الصورة، وهو الذي كتب تلك المسرحية، لم يكن الا رجلا أمضه انتظار عبثي قاده الى الامعان في صمته.

تقول الصورة اكثر من هذا، ان اتجهنا الى السرد. غير أن الشعر، وهو ملكة بيكيت الحقيقية، يمكنه أن يقول كلاما مختلفا. لقد كان بيكيت رجل استنتاجات عصية. يهمه الحديث عن الوقائع التي لن تحدث وعن الناس الذين لن يجيئوا. صورته تمثله شبحا في لا مكان. ولم تكن أفعاله لتعني أحدا سواه. بعكس ماغريت، كان ابطال بيكيت يقلدونه. انهم صورة عنه.

(3)

(فن الاداء الجسدي)، هو أحد تجليات عصيان الحداثة. فتيات رغبن في أن يكون لأجسادهن دور في صناعة مفهوم جمالي مفارق. الصورة هي ما يتبقى من ذلك الفعل الجمالي الخارق.

وهي ما تجعل منهن رصيدا لمفهوم ما بعد حداثوي عن الجمال. في حدود المعنى الساذج فان الصورة هنا هي مجرد وثيقة عن فعل صار جزءا من الماضي، غير ان ما تفعله الصورة جماليا يتجاوز ذلك الفعل ولا يكرسه، اذ أنها تكتسب حياة مختلفة مما يضيفه المتخيل عليها. هناك اليوم الاف الفتيات لا يعرضن سوى صورهن الشخصية. الامريكيات جميما ستيلا، لورين غرين فيلد، الكس ماك كولين والهولندية مادلينا بيرك هيمر واليوغسلافية مارينا ابراموفتش والسويسرية دانيلا دوتي والبولندية ماسي أوسيكا والفرنسية صوفيا غالا، فنانات لا يعرضن سوى صورهن الشخصية.

سيرة حياة قد لا تهم أحدا آخر، غير انها تجد طريقها معبدا بالتبجيل في اتجاه القاعات والمتاحف الفنية. هناك ما يقوله هذا الفعل المناهض لما نتوقعه: ليس اليومي الفاني هو ما تتصل به تلك الصور، ما يتبقى هو الأهم. حكمة أن نكون موجودين كما لو أننا لم نغادر بعد.

تروتسكي الذي تبقيه الصورة حيا هو ليس ذلك الرجل الذي تمكنت منه فأس مسعورة. هناك أسئلة تطرحها الصورة لا تتعلق بالمعنى بقدر ما تذهب الى جمال خفي تنتجه طبيعة المشاعر التي تلهمها لحظة النظر لغة نافرة ومحلقة. لغة تكسب الواقعة حدسا ما لم يقع بعد. الاداء الجسدي ليس استعراضا مؤقتا بقدر ما هو محاولة لاستخراج لغة تخلت عن طبائعها المستهلكة.

(4)

كان الناس يقفون أمام الكاميرا لتمثيل دور صامت، لتعينهم الصور فيما بعد على أن يتذكروا الكلمات التي لم تقل حينها. وحين كان المصورون يلتقطون صورا لبشر لم يكونوا يعلمون بأنهم كانوا هدفا لاقتناص بصري فانهم كانوا يهبون صورهم كلاما مختلفا، لا يمكن الاعتراف سوى بواقعيته. وفي الحالين لم تكن الصور بريئة. فقد كان هناك دائما قصد مبيت تنطوي عليه تلك الصور فيما كان البشر يشعون براءة. غير أن النزهة بين الصور الان ليست بمثل هذه العدالة. ففي عصر صارت الصورة واحدة من كبرى صناعاته يحق لنا أن نشك في كل نزاهة بصرية ممكنة.

لقد صار من اليسير على الاطفال في منازلهم أن يزيفوا الصور ليركبوا مستحيلات ممكنة. مشكلة بهذا الحجم يمكن أن تلقي بكل متعتنا التخيلية في متاهة استفهامية لا حدود لها. ماكنة الزيف يمكنها أن تلقي بالجميع الى هاوية سحيقة من الصمت.

فلا بريتون ذهب الى المكسيك للقاء النبي الأعزل ولا بريجيت باردو توجهت الى بيكاسو في مرسمه لتستمع اليه ولينصت الى جسدها. هل يمكننا أن نصدق كل ذلك؟ افتراضي هذا سابق لأوانه. لا يزال عصرنا طريا وذاكرتنا فتية.

ولكن اللعبة الالكترونية ان استمرت فانها ستطيح بآخر ممكنات البصر التي نتوقعها، من جهة كونها حقائق.

فما سنراه في الصور سيكون عبارة عن حكايات يرتجلها خيال شرير. وهي حكايات محبطة. ذلك لأنها لن تستطيع أن تهب كلماتها منطق الشعر.

* شاعر وناقد من العراق يقيم في السويد

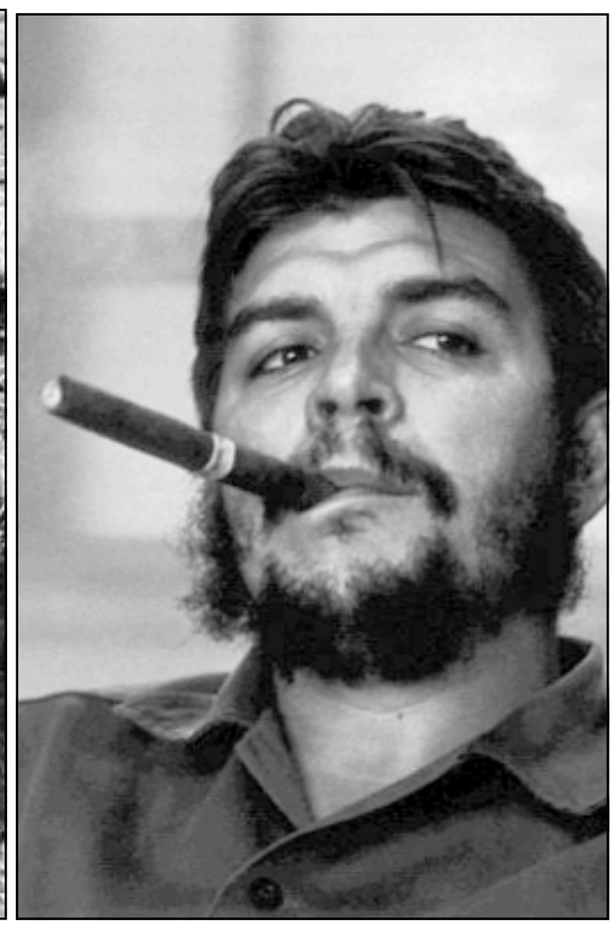

جيفارا

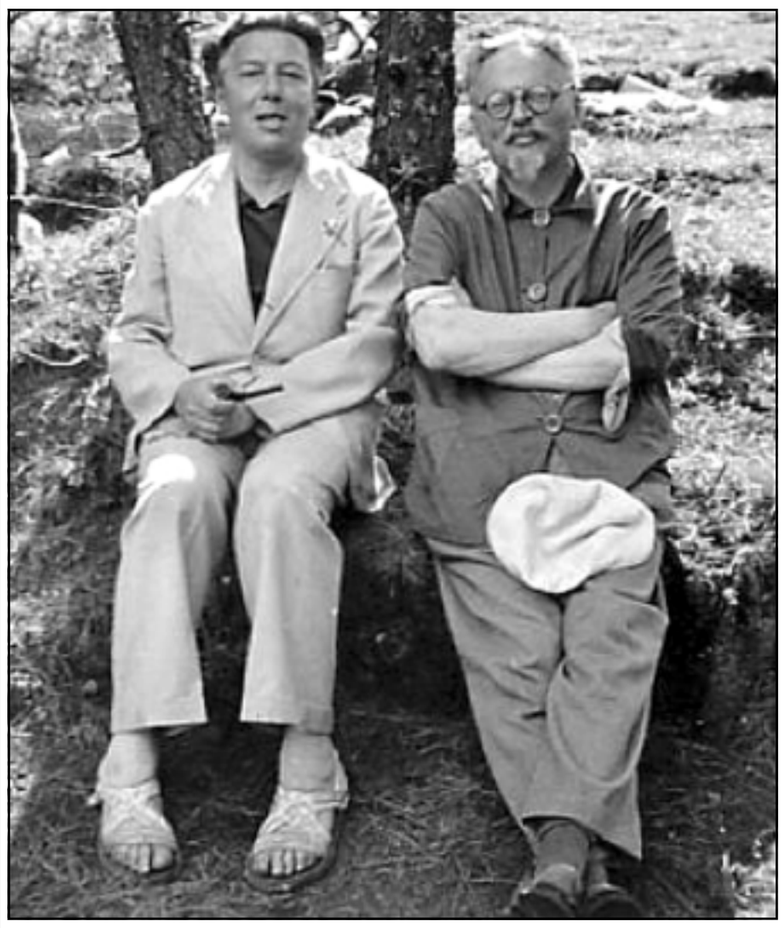

تروتسكي وبريتون

بريجيت باردو وبابلو بيكاسو

تداعيات

وللفلاسفة أحقادهم

سعيد الشيخ*

■ يكتبون ما يشبههم أو ما يشبه زمانهم الاغبر، وهم على قطيعة مبينة مع وظيفتهم التنويرية. يوم كان الظلام يسود خرائط الممالك والجمهوريات الطالعة من رحم الحروب... كانوا قناديل ترتفع الى مراتب الانبياء، اذ الافكار تتقولب مناهج ويقينا للضالين ان يهتدوا على شكل البلاد، دستورا وأمنا لسيادة قيم الانسان يجترحها الوعي المبدع بذائقته الفنية ولاطلاق عجلة الانتاج.

يكتبون ما يشبههم او ما يشبه زمانهم فلاسفة اللغة العربية، وما حولهم سوى الحطام... يخالفون وظيفتهم حينما يرتضون ان يكونوا جزءا من الحطام، من هذا الخراب، من هذا الانحطاط. وينفخون على الجمر لبث الاشتعال.

اذا قلنا ان الامة مصابة بالعجز، فاذا بهم هم أسياد العجز... يجترّون كلماتهم المتفحمة من كثرة سواد القلب الممتد الى جدار العقل... يتصدع هذا الجدار ومن تشققاته يخرج الدخان الاسود، فاذا بالبلاد واقعة تحت ضباب كثيف، والسواد يملأ المعمورة كلها... والكل يتخبط.

***

اكتب تداعياتي هذه وعيناي الى المشهد العراقي... تحديدا في الخامس من تشرين الثاني (نوفمبر) يوم النطق بالحكم على صدام حسين ومساعديه في القضية المسماة بالدجيل... هرج ومرج في مدن العراق، بين الذين يرقصون فرحا وبين الذين يترنحون غما كردة فعل على الحكم.

الشارع هو الشارع... هذا الموصوم بالغوغائية والتخلف من قبل عيّنة الفلاسفة والكتّاب اياهم الذين يبذرون في «أرض السواد» بذور الطائفية البغيضة... وهؤلاء الذين أول من يقع في غواية المعاني التي هي نتاج عقولهم الدكناء... وينفخون في بوق الغوغائية سيمفونياتهم الرديئة إمعانا في عصر الانحطاط واصرارا عجيبا على ادارة الازمة.

السؤال البديهي: كيف لا يختلف الفيلسوف مع أسباب الأزمة؟ وبدل ان يخالف عناصر البلاء لشعبه... كيف ينصب افكار الفتنة كمصائد تنتظر ضحاياها؟ والكتابة لديه تصبح في اطارها العام تخصيبا للحقد والكراهية... وهنا فقط يفلح ان ينتصر على العجز حيث فلسفة ثقافة العنف ستولّد ادواتها الفتاكة في جسم المجتمع المنهك اصلا منذ أمد بعيد.

والسؤال الصارخ هنا: كيف للفيلسوف ان يكون داعية لسفك الدماء؟

***

الطبيعي ان يغتبط المفكر التنويري لسقوط الفكر الظلامي المضاد... ومن غير الطبيعي ان يغتبط هذا المفكر لفكرة الموت والنفي للآخر ككائن، حيث تبدو الثقافة هنا لا تسير في اطارها التثقيفي والاجتماعي ولا بد ان انحرافا خطيرا قد أصابها... وقد أصاب بالتحديد انسانية النص وعطب الحواس. واثناء هذا الوضع والى المستقبل ان لم يتم تداركه فإن اي نتاج هو نتاج مهزوز من انسان مختل، شقي ويدعو الى الشقاء.

* كاتب فلسطيني مقيم في السويد

مهرجان أبوظبي الدولي للؤلؤ ينطلق في 10 كانون الاول

ابوظبي ـ «القدس العربي» ـ من جمال المجايدة:

تقام في مجمع ابوظبي الثقافي يوم 10 كانون الاول (ديسمبر) القادم فعاليات (مهرجان أبوظبي الدولي للؤلؤ) والذي يستمر لمدة 49 يوما بتنظيم من هيئة أبوظبي للثقافة والتراث وذلك بالتعاون مع المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي.

وأكد محمد خلف المزروعي مدير عام هيئة أبوظبي للثقافة والتراث أن الهدف من تنظيم المهرجان والذي يضم بشكل رئيسي المعرض الدولي للؤلؤ والمعرض الخليجي للؤلؤ الطبيعي هو استعادة دور أبوظبي كعاصمة تاريخية للؤلؤ الطبيعي والحفاظ على تراثه، فيما قال خالد الصايغ رئيس اللجنة التنفيذية للمهرجان أن العاصمة الإماراتية تترقب بشغف احتضان أكثر من الف قطعة من معروضات اللؤلؤ الرائعة والنادرة في المهرجان الذي سيضم أكبر وأوسع التشكيلات شمولية من حيث تنوعه على مستوى العالم.

واشار الى أن معرض اللؤلؤ الخليجي والذي يقام بالتوازي مع فعاليات المهرجان والذي يعرض للمهتمين والزوار تشكيلة رائعة من لآلئ الخليج النادرة سيقوم بإضفاء لمحة تاريخية عن اللؤلؤ في المجتمع الخليجي بالإضافة الى عرض مجموعة من أفضل اللآلئ الخليجية الطبيعية خاصة وأن المصادر التاريخية تؤكد أن أفضل قطع اللؤلؤ تنحدر من منطقة الخليج العربي.

وكشف الصايغ عن أن مهرجان أبوظبي الدولي للؤلؤ سيضم العديد من الفعاليات المرافقة للمعرض الدولي والمعرض الخليجي منها تنظيم ورش عمل خاصة حول اللؤلؤ تبحث في أهميته وسبل حمايته ومستقبله بمشاركة خبراء من كل من اليابان وألمانيا وفرنسا والولايات المتحدة وتايلند والبحرين والإمارات إضافة الى تنظيم مؤتمر عالمي في قصر الإمارات بعنوان «جاذبية اللؤلؤ» بمشاركة علماء وباحثين من بريطانيا وألمانيا والولايات المتحدة وإيطاليا وبحضور أهم المصممين العالميين للؤلؤ من مختلف دول العالم. وسيعقب المؤتمر تنظيم مزاد عالمي لـ18 قطعة لؤلؤ نادرة. واضاف الصايغ ان المجمع الثقافي بابوظبي سيشهد ايضا عروضا سينمائية وتراثية وثقافية مرافقة لفعاليات المهرجان منها عرض لبعض أهم الأفلام الخليجية حول البحر واللؤلؤ واستحضار أغاني الغوص الشعبية الجميلة.

وكشف عن قرب إصدار كتاب (اللؤلؤ وطواويش الخليج) ضمن حفل خاص خلال فعاليات مهرجان اللؤلؤ وهو أول موسوعة تبحث في تاريخ اللؤلؤ على مستوى المنطقة والعالم ويضم الآلاف من المعلومات الموثقة والصور الفوتوغرافية النادرة.

«انديجان» فيلم عن الافارقة في الجيش الفرنسي يلقى استحسانا في افتتاح ايام قرطاج السينمائية

■ تونس ـ اف ب ـ من نجاح المولهي: لاقى فيلم «انديجان» او «الاهالي» للجزائرى رشيد بوشارب خلال عرضه مساء السبت في افتتاح الدورة الحادية والعشرين لايام قرطاج السينمائية استحسان الجمهور واثار مشاعر محاربين تونسيين قدامى حد البكاء.

وجرى حفل افتتاح المهرجان في قاعة سينما «الكوليزي» بالعاصمة التونسية بحضور العديد من فناني الدول المشاركة في الدورة ووزير الثقافة التونسي عزيز بن عاشور الذي وصف المهرجان بانه «منبر لحوار الثقافات والحضارات» اضافة الى نحو عشرة محاربين قدامى وصلوا الى المكان في عربة يجرها حصان تعود الى اربعينات القرن الماضي وقد وشحت صدورهم باوسمة تقلدوها في مناسبات مختلفة.

ويروي الفيلم الذي يشارك فيه الممثلان المغربيان جمال دبوز ورشدي زام والجزائري سامي نصري والتونسي سامي بوعجيلة وصور في المغرب وفرنسا، قصة اربعة شبان من شمال افريقيا انضموا الى الجيش الفرنسي عام 1943 وتمكنوا من صد هجوم القوات الالمانية بمنطقة الالزاس الفرنسية. ولم ينج من المجموعة احد.

ويحيي فيلم «الاهالى» عبر سيرة الشبان الاربعة نحو 130 الف محارب من ابناء البلدان التي كانت فرنسا تستعمرها آنذاك قاتلوا في صفوف الجيش الفرنسي خلال الحرب العالمية الثانية.

وفي نهاية العرض قال الشيخ الحبيب مفتاح (74 عاما) الذي ارتدى جبة (لباس رجالي تقليدي تونسي) وشحت باوسمة، «لم اتمالك نفسي. وانهمرت دموعي من شدة وقع الصور والاحداث علي». والشيء نفسه قاله احمد فرحاتي (86 عاما) الذي اكد ان الفيلم «قوي وصادق الى حد الاصابة بالدوار».فيما علق الهادى غيريتلي (83 عاما) بقوله «حرك في الفيلم مشاعر خيل لي انها دفنت منذ زمن» بعيد.

من ناحيته اشاد ممثل المحاربين التونسيين القدامى هادي عبد القادر (88 عاما) بالفيلم ووصفه ب «المفخرة لنجاحه في رج الحكومة الفرنسية وتحريك مشاعر الرئيس جاك شيراك».

واثار الفيلم الذي نال جوائز في مهرجان كان السينمائي الدولي في دورته الاخيرة في ايار/مايو الماضي جدلا حول اعادة النظر في معاشات تقاعد المحاربين القدامى الذين شاركوا في تحرير فرنسا.

ويعبر العديد من قدماء المحاربين عن استيائهم لعدم اعتراف فرنسا بجميلهم من خلال تدني علاواتهم التى لم تتم مراجعتها خلافا لقدماء المحاربين الفرنسيي الجنسية.

واعلن الرئيس الفرنسي جاك شيراك بعد ان شاهد الفيلم انه سيتم اتخاذ تدابير في هذا الشان.

واهدى الممثل التونسي سامي بوعجيلة الذي يقوم بدور العريف عبد القادر في الفيلم والذي استقبل بتصفيق حاد في الصالة، هذا العمل الى «كل المحاربين الافارقة».

واشار الى ان «جميع الممثلين وضعوا كل طاقاتهم من اجل انجاح هذه المغامرة الجميلة الصادقة التى ستشكل قوة دفع الى الامام بالنسبة للشباب (الفرنسي) المغاربي (الاصل) وترفع عنهم عقد الدونية فيكبرون وينمون ويحلمون في بلدهم فرنسا».

واشارت الممثلة التونسية جليلة بكار الى «ضرورة الاكثار من الافلام التى تتناول الذاكرة لان الشعوب بدون ذاكرة هي شعوب بدون مستقبل».

وشد الفيلم المنتج التونسي حبيب عطية «لانه نجح في تناول موضوع درامي دون السقوط في الشجن».واضاف « لم اشاهد فيلما بهذه القوة منذ مدة (...) لم ار نقاط سلبية فيه. فالسيناريو محبوك وتقمص الادوار رائع».

وتستمر ايام قرطاج السينمائية التى تحمل هذا العام شعار «التنوع الثقافي في سينما الجنوب» حتى الثامن عشر من تشرين الثاني/نوفمبر الحالى ويعرض خلالها اكثر من 228 فيلما.

ويتنافس في المسابقة الرسمية 15 فيلما طويلا و14 فيلما قصيرا من 16 دولة عربية و5 افريقية للفوز بجائزة «التانيت» الذهبية وهو اسم الهة قرطاجية.

ومن الافلام المنافسة ثلاثة افلام تونسية هي «بابا عزيز» لناصر خمير و"اخر فيلم» للنوري بوزيد حول العمليات الانتحارية و«عرس الذيب» للجيلاني السعدي.

وتشارك من الدول العربية الجزائر بفيلمين «بركات» لجمالى الصحراوي و"البلد رقم واحد» لرابح عامر زيماش. اما مصر فتشارك بفيلم «اوقات الفراغ» لحمد مصطفي ويتمثل العراق بفيلم «احلام» لمحمد الدراجي ولبنان بفيلمي «بوسطة» لفيليب عرقتنجي و"دنيا» لجوسلين صعب والمغرب بفيلم «باب البحر» لداود اولاد سعد وموريتانيا بفيلم "باماكو» لعبد الرحمن سيسيكو وسوريا بفيلم «علاقات عامة» لسمير ذكرى وفلسطين بفيلم «انتظار» لرشيد مشهراوي.

ومن الدول الافريقية تشارك الغابون بـ«ظل ليبارتي» لليو ايمنغا ايفنغا وتشاد بفيلم «دارات موسم جاف» لمحمد صالح هارون.

وتضم لجنة التحكيم التى يتراسها الروائي والصحافي اللبناني الياس خوري كلا من الممثلة التونسية هند صبري والممثلة فانتا ريجينا ناكرو (بوركينا فاسو) والممثلة رقية ينانغ (اسينغال) والمخرج المغربي محمد العسلي والمصري رمسيس مرزوق والفرنسي سارج سوبزنسكي.

ويتضمن المهرجان الذي يهدي دورته الحالية الى «روح الروائي المصرى نجيب محفوظ»، نشاطات اخرى من بينها «بانوراما» وقسم «صور من فلسطين» و"سينما الصمود» الذي يعكس وجهات نظر مخرجين عرب واجانب حول الحرب الاخيرة على لبنان.